

أضواء البيان

. @ 152

ونص صريح في تنزيه الله سبحانه وتسبيحه عما قالوا . .

ثم جاء حرف الإضراب عن قولهم : { بَلْ لَّسَهُ مَآ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّسَةٍ فَنَاتِيُونَ } ، ففيه بيان المانع عقلاً من اتخاذ الولد بما يلزم الخصم ، وذلك أن غاية اتخاذ الولد أن يكون باراً بوالده ، وأن ينتفع الوالد بولده . كما في قوله تعالى : { الْوَالِدُ وَالْذِينَ وَالْأَبْنَاءُ وَالْأَخَوَاتُ الْأَقْرَبُونَ } ، أو يكون الولد وارثاً لأبيه كما في قوله تعالى عن نبي الله صلى الله عليه وسلم : { فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً يَرِثْ لِي وَيَرِثْ لِي مِنْ عَالِي يَعْزُقُونَ } . .
والله سبحانه وتعالى حي باق يرث ولا يورث كما قال تعالى : { كُلُّ لَّسَةٍ مِّنْ عَالِيهَا فَنَانٍ وَيَذِقُهَا وَجْهَهُ رَبِّكَ } . .

وقوله : { وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } . .
فإذا كان لله سبحانه وتعالى كل ما في السماوات والأرض في قنوت وامتنال طوعاً أو كرهاً ، كما قال تعالى : { وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَانِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً * إِنْ كُلُّ لَّسَةٍ مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَانُ عَبْدًا } . .
فهو سبحانه وتعالى ليس في حاجة إلى الولد لغناه عنه . .
ثم بين سبحانه قدرته على الإيجاد والإبداع في قوله تعالى : { بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } . .
وهذا واضح في نفي الولد عنه سبحانه وتعالى . .

وقد تمدح سبحانه في قوله : { وَقُلِ الْوَحْدُ لِلَّهِ الْوَاحِدُ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا } . .

أما أنه لم يولد . فلم يدع أحد عليه ذلك . لأنه ممتنع عقلاً ، بدليل الممانعة المعروف وهو كالاتي : .

لو توقف وجوده سبحانه على أن يولد لكان في وجوده محتاجاً إلى من يوجدّه ، ثم يكون من يلدّه في حاجة إلى والد ، وهكذا يأتي الدور والتسلسل وهذا باطل .